من اختبارات الذكاء السياسى :

من هو آية الله القذافى ؟

أنيس منصور

إذا كنت تحب الوضوح فالرئيس القذافى يعجبك . فهو يستخدم الدم فى الكتابة على الجدران . ثم يطلق النار على الجدران . لعلك ترى ما كتب . أما الهدف فهم الأبرياء من شعبه والشعوب الأخرى

ولم يخرج الرئيس القذافى عن هذه القاعدة منذ ولى الحكم سنة ١٩٦٩ . وحين خدعوه بأنه صورة من شباب الرئيس جمال عبد الناصر . وكان معنى هذه « النبوءة » أنه لو عاد الزعيم المصرى إلى شبابه ما فعل غير الذى فعله الرئيس القذافى . وهذا ظلم للزعيم المصرى وتزييف للزعيم الليبى . وذهب عبد الناصر وظلت صورته المشوهة فى ليبيا .

من هو الرئيس القذافى ؟ . .

إنه فى الصحراء البدوى الشجاع المؤمن الحر المتقشف فى نصرة الحق والعدل – ليست هذه عبارتى . ولكنى قرأتها .

أما أن القذافى عربى فهذا صحيح . ولكن لم تعد تربطه بالحياة العربية أو البدوية أية صلة . فعندما أقام الخيام فى الصحراء له ولوالديه . كانت الخيام مكيفة الهواء مزودة بالتليفزيون الملون وبحظات الرادار وأكداس المال يلقى به على أنصاره وأقاربه . وأما أنه شجاع فلم تجربه المواقف السياسية . فقد احتمى وراء قوات بدوية كبيرة . وبعد ذلك قوات كورية وألمانية شرقية وسوفيتية . لتكون الخيام الواقى له من الشعب الليبى . أما أنه رجل مؤمن . فلا يتفق على ذلك كثيرون . إنما هو مؤمن بدين خاص وإسلام خاص يتنافى مع مبادىء الإسلام المعروفة .

فهل هو مسلم حقا ؟ لقد جاءنا القذافى فى مصر واستغل أدب المصريين وصبرهم الطويل وتهجم على القرآن الذى لايحفظه . وراح يشرح الآيات الكريمة . ورجال الدين جالسون أمامه قد نكسوا رءوسهم أحيانا وهزوها أحيانا أخرى كأنهم ينفضون ماعلق بآذانهم وعقولهم من سخافات . وسكتوا . فقد شكك فى الآيات القرآنية وفى الأحاديث النبوية . بل إنه رفض كل الأحاديث . واستكثر أن يجادله أحد .

والذى أعلنه بمصر فى حياء . عاد إليه فى جرأة عندما حشد الناس حوله فى طرابلس . هو يشرح وهم يقولون . آمين . آمين فى الدين وفى السياسة وفى الدم وفى النار وفى القتل وفى تجريد الناس من أموالهم وأعمالهم . .

ربما قيل إنه مسلم حقا لأنه ساعد المسلمين فى جزيرة مندناو ضد الحكومة الكاثوليكية فى الفلبين . وقد سألنى الرئيس الفلبينى ماركوس فى مكتبه . هل ترى أن القذافى رجل عاقل ؟ ما الذى يستفيده أدبيا أو سياسيا أو ماديا لكى يمد المسلمين بقنابل وأسلحة ضد الحكومة المركزية ؟ وإذا فعل ذلك مرة فهل يستطيع أن يساندهم فى كل مرة ؟

غير أن القذافى ساعد المسيحيين فى أثيوبيا ضد مسلمى الصومال وفى السودان !

وعندما اعتدى الاتحاد السوفيتى على أفغانستان المسلمة . وقف مع الاتحاد السوفيتى الملحد !

وعندما تمردت قوات الوليساريو المسلمة ضد حكومة المغرب المسلمة وقف مع المتمردين !

ثم هو الآن يقف مع إيران الفارسية المسلمة الشيعية ضد العراق المسلم الشيعى أيضا . ثم هو يقف مع سوريا النصيرية ضد العراق الشيعى . كما أنه قد شجع المتطرفين من المهاجمات الإسلامية فى مصر الإسلامية ضد المسلمين أيضا .

كما أنه اعتدى بقوات تونسية مرتزقة ضد تونس .

وعلى ذلك كله يمكن أن يقال إن القذافى يقف مع المسلمين فى أى مكان من العالم . سواء كانوا ظالمين أو مظلومين .

ولكن القذافى وقف مع الجيش الجمهورى فى إيرلندا – أى مع المسيحيين ضد المسيحيين

ثم مايد الجيش الأحمر فى اليابان .

وهو قد ادعى أنه حامى الثورة الفلسطينية . وأنه سوف يزود مساعدة قوات التحرير الفلسطينية بما كانت تحتاجه واحتاجتها . ولم يدفع لهذه القوات قرشا واحدا . ويوم تجرأ بعض هذه المنظمات على أن تعرض رأيا حسن أفرادها . حتى يأبهوه زعيما هو مدى الحياة – ولا يعطوا .

هل القذافى أمريكانى ؟ . .

إن القذافى قد أعطى للسوفيت كل ما طلبوه ولم يجدوه فى مصر . أعطاهم قواعد عسكرية . وأعطاهم نصف شواطىء البحر الأبيض الجنوبية . والباقى منهم بسعة الآلاف

هل هو امريكان ؟

هل هو سوفيتى ؟

هل هو ملحد ؟

هل هو مسلم ؟

مليون دولار أسلحة متطورة . الأسلحة مكلسة . ولكن لايوجد بين اثنين من يفكر فى استخدامها أو استعمالها . لكى يستخدمها ضد مصر أولا . ثم ضد العالم كله بعد ذلك .

وظل إليه السوفييت الكوبيون والألمان الشرقيون لتدريب قواته وتجنيده من شعبه . وأصبحت ليبيا هى القاعدة الكبرى للسوفييت يطلقون منها قواتهم الى تشاد الجنوبية وإلى أوسط افريقيا .

❦❦❦

فهل هو سوفييتى ؟ . .

إن الأمريكان فى ليبيا هم الذين يتولون إنتاج البترول ويحصلون على ٤٠٪ منه . وعندما أمم القذافى الشركات البترولية تم نهب الشركات الأمريكية . فليبيا هى الدولة الثالثة فى قائمة كبار مصدرى البترول إلى أمريكا بعد السعودية ونيجيريا . أما ألمانيا الغربية وإيطاليا فتحصلان على كمية تقارب الكمية الأمريكية من البترول . ولكن فرنسا تحصل على ٨٠٪ من انتاج السائل من ليبيا

ولاتحصل السوفييت إلا على كمية ضئيلة من البترول ولكنها متزايدة . .

ويوم قرع القذافى من التحركات المصرية على الحدود . شكا مصر إلى الرئيس الأمريكى كارتر . واتصل الرئيس كارتر بالرئيس السادات ينقل إليه مخاوف القذافى . وأصبح واضحا لدى الرئيس السادات . ان أمريكا قد قبلت الوساطة . وان نفس الوقت أنها سوف تحمى القذافى عند الضرورة . ويومها أكد الرئيس السادات أنه لاأبيت شيا للقذافى . وأن أمريكا تستطيع أن تتأكد بأقمارها الصناعية من حجم التحركات المصرية

أما الذى أراده الرئيس كارتر فهو . أن ليبيا يتكت مصر إلى أمريكا . وطلبت تدخلها . وقبلت . أمريكا ذلك . فليكن هذا معلوما مصر ! . .

ولكن القذافى يهاجم أمريكا . رغم ذلك وبعنف . .

وكان قبل ذلك يهاجم السوفييت ويتهمهم بالكفر . فانهم ليسوا بأنه صهيونى يهودى . وانهم برجنيف بأنه صهيونى يهودى . وأنه لافرق بين الشيوعية والصهيونية وان الجميع كفرة ! . .

ويوم احترق رواد الفضاء السوفييت على الأرض . أرق القذافى للقيادة السوفييتية يقول : لكى تعرفوا أن الله حق . فبادروا إلى الإسلام وإلا أحرقكم الله جميعا ! . .

وانهم الأمريكان بأنهم أيضا صهاينة . وأن التعامل معهم إلحاد . .

ولاتزال العلاقة بين أمريكا وليبيا شهر عسل دائما . فقد اشترت أمريكا هذا العام بترولا ليبيا بنهاية آلاف مليون دولار . .

ولاتزال أمريكا تعاون الاتحاد السوفييتى على حل أزماته بالأموال الليبية . أما بالأسلحة المتطورة ! . .

وقد حاولت ليبيا شراء الأسلحة الأمريكية عندما استخدمت بيل كارتر . شقيق الرئيس الأمريكى . .

وليس الرئيس السادات أول من وصف الرئيس القذافى بأنه مجنون . إنما الرئيس برجنيف هو الذى قال ذلك سرا . أما الرئيس السادات فقد اكتشف جنون القذافى قبل ذلك . ثم إنه جاهر بهذا الرأى .

❦❦❦

فهل القذافى مسلم؟ هل هو ملحد ؟ . .

إن الإسلام الذى يتحدث عنه القذافى مختلف عن دينا . لأن القذافى يضيف تعديلات على الآيات القرآنية – استغفر الله .

وسوف يخرج فى الأسواق نسخة « منقحة » أو « مصححة » أو « مطهرة » للقرآن الكريم . وعلى سبيل المثال يقول الرئيس القذافى فى « رسالة إلى المؤمنين فى كل مكان » إن لدينا سورا يطلب فيها جبريل عليه السلام إلى نبينا عليه الصلاة والسلام أن يقولها وراءه ولكن الذين نسخوا القرآن – أى كتبوه – لم يفهموا هذا المعنى . . فبلا عندما يقول جبريل عليه السلام للرسول . قل هو الله أحد . الله الصمد . لايصح أن تكون كلمة « قل » ضمن الآية القرآنية . إنما الآية تبدأ هكذا يقول الله أحد . الله الصمد . . . الى آخر هذه التحريفات الخبيثة لكتاب الله .

ثم إن الرئيس القذافى يشكك فى جميع الأحاديث النبوية . ولايستثنى منها سوى ٢٣ حديثا صحيحا .

وأخطر من ذلك اعتقاده بأنه كما أن الأديان جميعا قد ظهرت فى الصحراء . اليهودية والمسيحية والإسلام . فلن يتم بقاؤها وإصلاحها إلا بالبأس من الصحراء . وليسوا من السعودية . . ولكنهم من ليبيا . وليسوا كل الليبيين . إنما نبى واحد . هو الرئيس القذافى .

وعندما تحدثت إليه الصحفية النيجيرية أوريانا فلاشى . إن كان صحيحا أنك نبى كان جوابه . كل إنسان نبى يدعو إلى الحق .

وتاعادت تسأله . ان كنت نبيا صاحب رسالة مثل موسى وعيسى ومحمد ؟

عكاظ

القـــوات السوفيتيـــة تضرب الثوار
ضد القـــذافي في قاعـــدة طبرق

الصفحة الأولى من جريدة السعودية عكاظ بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٨٠

الأمير فواز بن عبد العزيز ... حمى الله ما أصبحك !

نصب الملك خالد خلال السعودية إلى القذافي !!

كان جوابه : إنما جميعا بشر والله يهدي من يشاء من عباده

وهو بهذا الرأي يقترب من الشيعة ويقارب من اليهانيين أيضا . فاقترابه من الشيعة لأنه يرى أن رسالة النبي عليه السلام مستمرة ، وأنه ليس من الضروري أن يظهر نبي . إنما واحد من بيت النبي عليه السلام . يهدي الناس إلى الحق . والشيعة يسمون إلى الرسول حديثا معناه : أنه إذا لم يبق في الزمن سوى يوم واحد . فسوف يبعث الله واحدا من أهل البيت عباءة الدنيا عدلا بعد أن امتلأت ظلما ! .. ورأى الزعيم القذافي أنه هو ذلك المهدي المنتظر .

وهو يقترب من اليهانيين الذين يوفقون بين كل الأديان ، ويكون التوفيق نوعا من التلفيق . فاليهانيون يقسمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء للعرب بأن كعبة حرام ليس معناها حرامة على العرب أن يحجوه ولكنه حرام على الحرام في جميع البلاد أي أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو ربنا الذي جاء كما يزعمون الأصنام بالحرام الجميل . والزعيم القذافي يوافقهم على هذا التزوير للإسلام .

ومن الغريب أن الزعيم القذافي عند نشر اجتهاداته في الإسلام والشريعة الإسلامية كلف ناشرا أمريكيا بذلك . الناشر الأمريكي اسمه شموئيل كوهين — أي يهودي . ومن الممكن أن يقال إن هذا الناشر اليهودي هو الذي سطا على هذه الدراسات وشرعها لحسابه هو . ولكن ، فكتاب الأخضر للزعيم القذافي والذي نشره هذا الأمريكي اليهودي يباع في مكتبات طرابلس بالعملة الإنجليزية !

والزعيم القذافي لم يخرج فقط على تعاليم الدين الإسلامي ، ولكنه خارج على التعاليم الدستورية المعروفة في العالم كله . وهذا طبيعي . فإذا كان يتجه على كتاب الله وأحاديث رسوله وما اتفق عليه الأئمة من ١٤ قرنا ، فإن ما يقوله فقهاء الدساتير ليس إلا شيئا هنا . ولذلك أعلن الزعيم القذافي أنه لا يصح أن تكون هناك « حكومة » أي مجموعة من القواعد الجامدة يجلس عليها الناس جامدون يتحكمون في رقاب الناس . ولذلك أطلق الناس على الناس وارتفع مستوى النوازع إلى مقاعد الحكم . وطلب من الجماهير أن تحكم نفسها بنفسها

كما أنه ضد ما يسمى في العالم الغربي بالدبلوماسية . لأن الدبلوماسية هي حكومة داخل الحكومة . ولذلك طرد الدبلوماسيين من كل موقع وطلب إلى الحادات الطلبة في الخارج أن يديروا السفارات وأن يكونوا على صلة بالحكومات الأخرى

وكذلك الجامعات ليس من الضروري أن يكون عميد الكلية أستاذا . إنما يستطيع طالب نشاط أن يدير الكلية وأساتذتها أيضا . وكذلك النقابات المهنية ليس ضروريا أن يكون نقيب الأطباء طبيبا . بل إن أي شخص آخر يستطيع ذلك . والأغلبية العضوية رأيها ملزم إذا أحد النقابة في أية مشكلة . فالعبرة ليست بالنوع العضوي . ولكن بالنوع الوطني فقد يكون الطبيب ناجحا . ويكون المحرض فاشلا . ويكون العميد عالما . بينما الأكثرية العضوية فشلا تتدعم ولاء الزعيم القذافي

فهل القذافى فوضوى ؟ . .

... كذلك الا أقلا . فالاول هو على رأس الدولة . كما أن هناك وزارات ومصالح وبنوكا وقوات مسلحة تضرب على عهود الحرب الحديثة . والثانى هناك مضخات تدفع البترول وعقول الكترونية تضرب وتطرح . .

ولو أخلص الشعب الليبى لعالم القذافى لأسقطوه . لأنه إذا لم تكن هناك حكومة . والاجهزة ادارى فلابد يكون للجهاز رأس . ويكون هذا الرأس هو القذافى دائما ! . .

ولا يكن يهجم الرئيس القذافى على المملكة السعودية . لأسباب دينية فقط . انما لأسباب سياسية أيضا . فهو ضد النظام الملكى وضد النظام الجمهورى . وضد النظام المختلط . فهجومه على السعودية ليس هجوما خاصا . إنما هو جزء من الهجوم العام على كل دولة اسلامية . وكما أن السعودية حليفة لأمريكا . فهو أيضا حليف لأمريكا . وهو يعيب على السعودية أنها طلبت من الأمريكان حمايتها . ولا يعيب على نفسه انه طلب إلى السوفيت أن يدعموا فى ليبيا هو وحلفائهم الكوبيون والألمان الشرقيون والأحباش واليمنيون . ويعيب على السعودية أنها تستخدم الطائرات التى تحوم فوق مكة وعرفات . ولم يقل أحد القذافى إن هذه الطائرات وفى الميدان الخلفى لسلامة المسلمين ! وحتى لو كانت هذه الطائرات تستخدمها السعوديون من أجل الأمن القومى . فمن الذى لا يفعل ذلك ؟ . .

ولكن الغريب حقا هو أن الرئيس القذافى قد هاجم السعودية منذ وقت طويل . ملكا وولى للعهد وأمراء وشعبا . ومع ذلك فقد ذهب الملك خالد عاهل السعودية إلى طرابلس . إلى القذافى . صافحه وعانقه وتشاور وإياه واهتدى به . . وهو يعلم أنه عدو له ولدينه ولربه . فليس القذافى كافرا أحيرا كما أعلنت المذاعة والتليفزيونات والصحف السعودية . انما كان كذلك قبل زيارة الملك خالد وسوف يبقى بعدها .

ولدى السعوديين قصص ونوادر كثيرة عن الرئيس القذافى عندما ذهب إليهم مختصرا دون أن يبلغهم بذلك . فقد فوجئوا بضخامة الرئيس القذافى وقد نزل من الطائرة بالقميص والبنطلون والشبشب . بينما اصطف الأمراء لتحيته فاستكثر عليهم ذلك الاحترام لشخامته . .

وقد سمعت من الأمير فواز أمير مكة سابقا . ما أضحكنا على مفارقات الرئيس القذافى وأسرته وأعوانه أثناء الطواف والسعى . وبعد ذلك .

وقد حدث عندما كان الرئيس السادات والرئيس القذافى فى طريقهما إلى باكستان أن توقفا فى جدة لأداء العمرة . وكان ذلك عند منتصف الليل . وفجأة التفت الرئيس السادات إلى الرئيس القذافى يقول له : يامعمر . لاتتأخر . سوف نلتقى بعد ساعة . الناس هنا شديدو الحماسة وهم جميعا مهذبون وفى غاية الأدب . فلاتخرجنى معهم . بعد ساعة نلتقى .

وكان رد الرئيس القذافى : حاضر ياسيادة الرئيس . .

وعاد الرئيس السادات يقول له : ساعة فقط يامعمر ! . .

وقبل الموعد المحدد كان الرئيس السادات قد ارتدى ملابس الإحرام . وانتظر فى ساعة وانتظر . . خمس دقائق . عشرين دقيقة ولم يحضر الرئيس القذافى فبعث من يستعجله . فوجدوا الرئيس القذافى يتناول بعض الفاكهة . . ونبهوه إلى أن الرئيس السادات والأمير فواز فى انتظاره . وأسرع القذافى إلى الحمام وارتدى ملابسه .

ولم يوجه إليه الرئيس السادات كلمة واحدة فى الطريق من جدة إلى مكة .

وأحس الأمير فواز بحرج رهيب . والتزم هو الآخر الصمت

وفى داخل الكعبة حدث شىء عجيب ! فعندما كان الرئيس السادات يتعلق بجدران الكعبة فوجىء بيد قد أمسكت يده بشدة والقذافى يقول له : تعاهد الله جميعا على نصرة الإسلام والمسلمين . الخ . .

فما الذى فعله هو ويفعله بالإسلام والمسلمين ؟ . .

وفى طريق العودة من مكة إلى المدينة حدث شىء غريب . قال لى الأمير فواز . كانت الساعة الواحدة صباحا . وكان الركب يضم عشرين سيارة . وفجأة كان لابد أن نتوقف . وأن ننزل من سياراتنا لنحاول الاتصال بالسيارات الأخرى المزودة باللاسلكى . لماذا ؟ لأن الرئيس القذافى عطشان ويريد زجاجة « كوكا » . . فتوقفنا فورا فى منطقة ليس بها بيت واحد ولادكان . . وقد ظهر الضيق الشديد على الرئيس السادات ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ! . .

وفى تلك الليلة جمع السعوديون المكلفون بخدمة الزعيم الليبى وحمايته أنه يلعن الملك والأمراء والمذهب الوهابى الذى يتبعه السعوديون . ويتمنى الخراب والدمار فوق الأرض ومن وما عليها ؟ وتعمد الرئيس القذافى أن يجاهر بذلك فى مواجهة هؤلاء السعوديين الذين أحبوا رؤوسهم فى حياء وخجل !

ثم نقلوا ماسمعوه إلى الحكومة السعودية ! . .

فهل هو شخص مجنون ؟ . .

اختلف الأطباء فى تشخيصه . بعضهم قال إن الذى أصاب القذافى هو مايصيب مرضى الزهرى عادة . فإما أنه قد أصيب به أو قد ورثه . وقد لاحظوا أن سلوك القذافى متطرف ومتقلب حتى يبدو كأنه أكثر من شخص . فقد كان القذافى يغلق الباب بالمفتاح على الوزراء أياما . ثم يعود إليهم يشاهدهم ويحضر لهم ويخرجهم بالمئات . .

وأثناء حرب الأسبوع قال الرئيس جمال عبد الناصر برقية عاجلة من الرئيس القذافى يطلب فيها طبيبا للأمراض العاصبية لعلاجه ؟ !

وفى الوقت الذى اشتعلت فيه الميكروفونات الليبية والصحف الليبية المأجورة ضد مصر وضربتها القاضية لليبيا فى يوليو سنة ١٩٧٧ جاءت برقية عاجلة إلى الرئيس السادات من الرئيس القذافى يطلب طبيبا لعلاج أحد أطفاله . وكان الرئيس القذافى على يقين من أنها سوف تلهى هذا الداء الإنسانى . وتوقف الهجوم على مصر أثناء علاج طفله . ولم تكد الطائرة المصرية تدرج مطار طرابلس حتى عاد الهجوم على مصر قيادة وشعبا وقوات مسلحة . غازية محمية على الباب الليبى المفتوح ! . .

ومن أعراض هذا المرض أن المصاب به ينسى بسرعة .

فكيف ينسى ذلك خالد أن الرئيس القذافى كاد يذبح ليلا ونهارا أخيه . الفرخ بالقبى . بعد مقتل أخيه الملك فيصل ؟ . .

إن مايفعله الرئيس القذافى فى مجالات الدين والسياسة والإرهاب العالمى . والقهر القومى ليس إلا حيثيات جديدة لحكم قديم أطلقه الرئيس السادات عليه . وهو أن القذافى حالة مرضية . .

وعلى المشتغلين بالطب السياسى أن يدلوا على اسم هذا المرض . بعد أن توافرت لديهم كل أعراضه وبعد أن بلغت شروره جميع الدول الغربية والإسلامية !

فإن كان زعيما سياسيا . فنحن لانعرف اسم المذهب الذى يدعو إليه . . وإن كان زعيما دينيا فنحن لانعرف اسم هذا الدين الذى يبشر به . . هل هو آية الله القذافى ؟ . .

السعوديون يصفونه الآن بأنه آية الشيطان القذافى ! .

إذن فلقد عرفت السعودية من هو القذافى . وسوف تعرف أموراً أخرى كثيرة أشارت إليها مصر ونادت بها . ولكن السعودية وغيرها من الدول الشقيقة ستدرك ذلك متأخرة جدا — مع الأسف !

□

هذا هو الفرق بين الحرام والزوجية!

من ذكريات الفن والمرأة

في العشرينيات. وفي سنة ١٩٢٦ على ما أذكر. كان مجلسي بعد الظهر في باريس على رصيف مقهى «دازكور». وقد اخترت هذا المقهى اليوم وظهرت في مكانه حوانيت أربعة. كان يقع هذا المقهى على ناصية شارع جانبي يؤدي إلى جامعة السوربون. وفي الجهة المقابلة له فندق «سيليكت» الذي كان ينزل فيه دائما شاعرنا «شوقي بك». فإذا جاء العصر وخرج من الفندق لحق بنا في مقهى «دازكور». وأحيانا يحضر إلينا ناصيف نقاش، الذي اعتاده. وهو رباط عنق صغير يحرره معلق يدخل في المباراة المعروضة المناقشة.

كان في ذلك الوقت يعمل في مسرحية «مصرع كليوباترا». وقد علم أن مؤلف المسرحيات التي كان قد حضر بعض «بروفاتها» بغرفة عكاشة وسمع أن مؤلفها تركها وسافر إلى باريس.. وأخذنا.. وطلب مني أن أحضر له بعض ما كتب عن كليوباترا من مسرحيات فرنسية لمجرد الاطلاع.. وعاد إلى مصر بعد قليل.

وجلست وحدي في ذلك المقهى. وإذا بعادة ذات قوام ذكرني بتمثال الخميلة «الفروديت». قد دخلت المقهى بصحبة شاب برنزي اللون جميل الطلعة كأنه «أبولون».. فكدت أصعق لحظتها. فقد كان الفن في ذلك العهد كل حياتي. ولا أفرق بين جمال التماثيل وجمال الآدميين. ولم يلبث أن ظهر صديق فرنسي في من الفنانين. فصحت به قبل أن يجلس بجواري:

– أسرع واطلب لي سكينا!..

فقال دهشا:

– سكينا؟! تصنع به ماذا؟!

فقلت له:

– أقتل به نفسي عند أقدام هذه الخميلة حبا وجنونا!..

فالتفت ناحية الخميلة وقال لي:

– صدقت.. لك حق.. ولكنها كما ترى ذات رفيق وأي رفيق.. لا أمل لك أيها الصديق.. وإذا أصررت على السكين فإني الأدين لك الجرسون بعشرة لك..

ولبثنا ساعة ننظر إليها ونتحسر.. ثم بهضنا وانصرفنا. كل منا إلى شأنه. ومضت أيام قلائل وإذا بالصديق يبحث عني ويبادرني صائحا:

– أين أنت؟.. أين أنت أيها الرجل السعيد.. اقرع بسرعة فإن عندي لك خبرا سارا..

وجعل يحكي لي ما حدث: وهو أنه مر بهذا المقهى فلمح هذه العادة الجميلة جالسة وحدها. وقد أخفت وجهها في منديلها وأخذت تبكي بكاء مرا. فجلس بجوارها. وتخير فرصة وحادثها ولم يزل بها حتى اطمأنت إليه وكشفت له عن بلائها: وهو أن صاحبها البرنزي اللون. وهو إسباني. قد هرب إلى بلاده وهجرها.. وهي الآن بغير مأوى ولا نقود ولا معين.. وقد كانت تعمل في إحدى وكالات السفر والسياحة. فالتقت بهذا الشاب الأسباني الوسيم فسلب لبها وأخرجها من عملها وختم قصته معها على هذا النحو.. وليس من السهل أن تجد سريعا عملا يليها شر الجوع.. ولم يعد في رأسها غير أفق حالك تبدو منه فكرة الانتحار.. فبادرها الصديق صائحا:

«تمالكي نفسك!! وعندي شخص يموت فيك حبا!!» وأخبرها بخبري وضرب لها موعدا في هذا المقهى لتقدمني إليها...

وحسنت في أول الأمر تخرج. ولكن ما كادت تمضي ساعة حتى انصرت. لدهشتي. هذه العادة الجميلة تدخل علينا. غير أنها كانت في حال كسيرة. وقد أسبلت الدموع أهدابها. وأساها الحزن الالتفات إلى محدثها. وبدت الصديق لاستقبالها. وبدت أنا أيضا كالخجل المأخوذ.

وقال لها وهو يقدمني إليها: «كنت تريدين الانتحار. فها هو ذا شيء أهون قليلا من الانتحار!!» فطرفت الخميلة إلي نظرة حزن واستسلام. وكأن كل شيء فيها ينطق: «ليس الآن أوان الفحص والاختيار»... وتركنا الصديق. وقد رأى أن مهمته قد انتهت.. وليتنا وجدنا لحظة صامتين. لا أدري ماذا أقول.. إلى أن سألتها آخر الأمر عن أمنيتها. فقالت إنها مودعة عند صديقة لها أضاقتها الليالي السابقة. ولم يعد من اللائق أن تعرض ضيافتها على أسرة أكثر من ذلك. وكانت أسرة صديقتها تقطن ضواحي باريس. والوقت أمسى ليلا. فرأينا أن يرجئ طلب الأمنية إلى الغد. وذهبت بالخميلة إلى مطعم رخيص للعشاء. فتعشينا وأنا أحاول إضحاكها والتسرية عنها. فاضحكت قليلا. وبدأت تتوطد بيننا الألفة. وأنزلتها ضيفة عندي. وأغريتها قويا منزليا من ليالي تمضي به ليلتنا. وذهب الليل. وطلع النهار. وفتحت عيني وقد راحت السكرة وجاءت الفكرة. ونظرت إلى تلك المرأة النائمة في الحجرة وقلت لنفسي:

«ماذا أنا صانع بها؟». اليوم الأحد وهو يوم زيارتي المعتادة لمتحف اللوفر. فالمتحف يوم الأحد بالمجان. ولكن المشكلة في اصطحابها فكيف في مشاهدة المتحف ودراستها طول اليوم. وهو أمر شاق لا تطيقه مثلها فيما يبدو. وإذا تحملت فقد لا تسكت عن بعض التعليقات السخيفة التي تبدو جوفاء ولفساد نظام تفكيري.. ثم إنها ستغير برنامج حياتي. إلى الآن هو آكل وأعمل وقتما أريد وحيثما أريد. إلى أعيش حياة الفن غير المقيدة بمكان ولا بزمان ولا بإنسان ولكنها منذ اليوم ستحبس حياتي هذه داخل إطار محدود من

مع هذه المرأة .. إني لم أعطك لأسير في الحياة وامرأة معلقة بذراعي !

وبهضت من فراشي على عجل وارتديت ملابسي وكتبت كلمة تركتها هنا فوق المكتب خلاصتها : « إلى رجل يوجعني من فصلة أولئك الذين يسمونهم القادمين الجليل . لا أصلح لأعباءك والسهر على راحتك . فأرجو اعفائي من تبعة استعدائك . فإني لست هذه المعجزة بأهل . . .

وكتبت عليها نظرة أخيرة وهي في نومها العميق الطفلي . وذهبت لزيارة إلى الصديق إياه وأخبرته بما حدث فكاد يضحك فهدأت من روعه وصاحكته قائلا : « لا تنس أني رجل شرقي متوحش . والمرأة عندي يجب أن تحيى في الحجرة . أو على الأقل لا يكون لها دخل كبير في حياتي . إذا أردت هذه المرأة أن تسكن الحجرة فلا مانع عندي . على شرط أن تتركني حرا . فلا أخرج معي . ولا تشعرني بأن لها في حياتي وجودا . . .

ففهم الصديق مرادي وقال : « لا بأس . أظنها قد رضيت بهذا الشرط ولكن . نفقات طعامها ؟ . فقلت له : « في عقدوري أن أعطيها كل يوم ثمانية فرنكات (أي ما يعادل في ذلك الوقت ثمانية قروش مصرية) فقال الصديق : « لعلها تعشانا معا ؟ . . قلت : « نعم . فقال متوسلا بصوت يملأ الرحمة : « اجعلها عشرة فرنكات ! . . فضحكت . ووجهه هو بأن يلاقاها ويعرض عليها هذا الوضع الجديد .

وانصرفت أنا إلى متحف اللوفر وظلت طول يومي في قاعة الفن الأغريقي متنقلا بين تماثيل « بالاس » و « أبولون » و « فينوس » . في أوضاعها المختلفة وأنا أقول لنفسي : « إله من في ! . في الأغريق هذا ! . لكأنهم يقصدون تمثيل الطبيعة إلى حد اشعارها بنقصها ! . . لكأنهم يريدون أن يقولوا لها : انظري . كان ينبغي أن تصنعي هذا الجمال !

وبرغت في الأغريق إلى في مصر القديمة . ولا يفصل بينها غير باب صغير . ولكن يا له من فارق بينها كبير . إن في مصر القديمة لا شأن له بالطبيعة . لكأنهم يقولون للطبيعة انظري ! أنا نستطيع من محيطنا وفكرنا أن نخرج مخلوقات أخرى عجيبة لم تخطر لك على بال ! . جسم إنسان ورأس حيوان وجسم أسد برأس انسان . وهذه الكتلة المربعة من الحجر هي كاتب يكتب وهو يخلق القرعصاء . إن هذا الفن باستخدامه للكتلة وخطوطها البسيطة قد اصبح منبع إيحاء للفن الحديث في العصر الحاضر . منذ أمثال الشهير « رودان » . لقد شبعت أوروبا من استلهام الفن الأغريقي منذ عصر « الريناسانس » . ذلك الفن الذي يمثل الحجر جمالا . والتفت إلى الفن المصري الذي يمثل الحجر فكرا .

وربما لم يكن ذلك من قبيل الصدفة فقد حدث هذا الاهتمام بالفن المصري في القرن التاسع عشر . قرن الفكر بالفلسفة والعلم في أوروبا . فكان الذي يناسب هو الفن التابع من الفكر . وخرجت من اللوفر وأنا أقلب في دفتر الملاحظات والخواطر . وذهبت إلى مطعم صغير اتناول عشائي . ثم عدت إلى مسكني فوجدت الحجرة ساكنة قد غادرته تاركة في هذه الكلمة فوق المكتب : « سيدي . لقد لا تريدني . وهذا هو كل ما في الأمر . .

وقرأت هذه الكلمة وقلت لنفسي : « لقد كنت تضرع حتى أن ترفق بالرحمة . وليت الفكر وقف عند النظر في الحجرة الخالية . أي وجود هذه المرأة هنا ليس هذا بالضبط الذي تصورته . أني كنت أملا أبكان على كل حال . خطوطها البسيطة . فضرقلا من هذا الجو المغبر بغبار الكتب . أنها تجربة . ما أروعني أقبل بعد هذه المرة .

وانقضت ليلة مضطربة .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى متحف دار كل . وظلت بالصديق يتأمل وينعم نظره وكان قد لاقاني وأطلعني على الشرط والشكاء الجديد . فعاهدته على الثبات بتعاهد . وهكذا استقرت الحال مرة أخرى إلينا . وكان للحجرة طقوسها استقبلت نفسي وأعطيتها الأمر . فإذا كان الصباح تركت لها فوق مكتبي الفرنكات العشرة . ثم انطلقت حرا طول يومي فلا أرى لها وجها إلا قليلا . ولم تمض على نظامنا هذا عشرة أيام حتى سئمت هي مراقبتي . وأنا هي نزلت في فوق مكتبي هذه الكلمة . إنك تعجب طويلا . لكأنك تحسد الحرب من حجرتك بين وجودي . أرجوك من كل قلبي أن تحيني عما لا تحبذ مني . أنها ضراعة . واجب أن تكون على ثقة

من أن إخلاصي هو لك وباق لديك . . .

عجبت من هذه الكلمة لأن الإخلاص أو الحب أو أية عاطفة من هذه النوع لم تكن داخلة ضمن الشروط .

إن اللحظة الوحيدة التي أحببتها فيها حقا هي ساعة وجودها الأولى مرة . كانت رقيقة . كانت شيئا في السماء مثل كوكب بعيدا . ولا يمكن أن تمد إليه يدي . لكن هذا الكوكب ما لبث أن وقع في كفي فإذا هو مصباح صغير . إن جوهر الحب مثل جوهر الوجود . لابد أن يكون فيه ذلك الغنى يسميه « المجهول » أو « القلق » .

إن حبي الحب عندي هي نوع من حمى « المعرفة » واستكشاف المجهول والجري وراء القلق . ماذا يكون حال الوجود لو أن الله قذف في وجوهنا بحل الآدميين بتلك المعرفة أو ذلك القلق الذي يقضي حياتنا نجري وراءه ؟ لو حدث ذلك لأصبحت الحياة خالية من كل حركة . ليس فيها ما يبحث عنه ويسعى خلفه . واختفى التفكير والحب والفن .

إن كلمة هذه المرأة التي تركتها فوق مكتبي تدل على أنها لم تفهم موقفي . فإنها تعتقد أني لم أكرهها ولم أحبها . إني لازلتها في الحجرة . وأصبحت العلاقة تشبه العلاقة الزوجية الخالية من أية عاطفة مشتعلة . فإذا يقدر الحب المتبادل بين العاشقين إذا تزوجا ؟ ولقد يعود الحب إلى سابق اشتعاله إذا عادا كما سبق عاشقين . لكل منهما حياته المنفصلة . إن الانفصال هو الذي يغري بالاتصال . وهذا الفرق بين « الغرام » و « الزوجية » . ولذلك كانت حيرة الفنان بين الفن والمرأة . وهو ما أردت التعبير عنه في مسرحيتي « عالبلوك » .

وصرت الأعوام وشاء القدر أن أعيش في مصر وأتزوج . كما شاء أن يكون الفن هو دائما المسيطر المستأثر الذي لا يقبل الشرك . كما لو كان يعتقد حقا أنه قبس من نور الخالق الأعظم . وحدث نفس ما حدث . وعاشي مع الزوجة والولد نفس المعيشة . وماتت الزوجة . ولم يشعر بها إلا بعد أن ماتت . وأصبحت بعيدة في المجهول . ومات الولد شاعرا بالغربة عن أبيه الذي يقيم في حجرته ويأبى الخلق دائما عليه وعلى الفن . والآن . . ولقد ذهب كل شيء . وبقي الرفيق الوحيد وهو الفن . ويكاد يشعر أن الفن أيضا يبتعد عنه الآن حقا . حتى الفن الذي كان يملأ وجدانه ويستغني به عن الدنيا بأكملها . ولا أحد وهو يصحبه أنه في حاجة إلى شيء أو إلى أحد . هذا الفن الذي ظن أنه سيبقى معه دائما . يراه هو أيضا ينصرف عنه الآن . مشيرا إليه لإشارة وداع !

ماذا عساي أصبح الآن في وجدي ؟ !

توفيق الحكيم